جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية العلوم الإسلاميَّة
قسم علوم القرآن/ الدراسات العليا

بناء المجتمعات في القرآن الكريم والفكر الوضعي دراسة موازنة

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية العلوم الإسلاميَّة – جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات

نيل درجة الماجستير في علوم القرآن تخصص (تفسير)

من قبل الطالبة

شيماء قاسم علوان

بإشراف

أ. د. علي عبد كنو

١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾

صدق الله العظيم

سورة الحجرات الآية: ١٣

إقرار المشرف

أشهدُ أنَّ إعدادَ هذهِ الرسالة الموسومة بـ(**بناء المجتمعات في القرآن الكريم والفكر الوضعي دراسة موازنة**) الَّتي قدَّمتها الطالبة (**شيماء قاسم علوان**) قد جرى بإشرافي في كُلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلَّبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن تخصص (تفسير).

المشرف

أ.د. علي عبد كنو

/ /٢٠٢٢م

توصية رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة

بناءً على التوصيات المتوافرة، أُرشح هذهِ الرسالة للمناقشة.

أ.م.د أحمد عبود علوان

قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميَّة

/ /٢٠٢٢م

أ.م.د فاضل أحمد حسين

معاون العميد للشؤون العلميَّة

/ /٢٠٢٢م

إقرار المقوم اللغوي

أشهدُ أنَّ هذهِ الرسالة الموسومة بـ(**بناء المجتمعات في القرآن الكريم والفكر الوضعي دراسة موازنة**) الَّتي قدَّمتها الطالبة (**شيماء قاسم علوان**) إلى مجلس كُلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن، قد جرى تقويمها لغويًّا من قبلي.

التوقيع:

اسم الخبير:

المرتبة العلميَّة:

التأريخ: / /٢٠٢٢م

إقرار المقوم العلمي

أشهدُ أنَّ هذهِ الرسالة الموسومة بـ(**بناء المجتمعات في القرآن الكريم والفكر الوضعي دراسة موازنة**) الَّتي قدَّمتها الطالبة (**شيماء قاسم علوان**) إلى مجلس كُلِّيَّة العلوم الإسلاميَّة – جامعة ديالى، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في علوم القرآن، قد جرى تقويمها علميًّا من قبلي.

التوقيع:

اسم الخبير:

المرتبة العلميَّة:

التأريخ: / /٢٠٢٢م

المحتويات

ت	الموضوع	رقم الصفحة
١.	الآية القرآنِيَّة	أ
٢.	إقرار المشرف	ب
٣.	إقرار المقوم اللغوي	ج
٤.	إقرار المقوم العلمي	د
٥.	إقرار لجنة المناقشة	هـ
٦.	المحتويات	ط – ك
٧.	الإهداء	ل
٨.	الشكر والتقدير	م
٩.	**المقدمة**	١ – ٦
١٠.	**الفصل الأول: بناء المجتمعات في القرآن الكريم**	٧ – ٤٢
١١.	**المبحث الأول: مفهوم المجتمع أُسسه وخصائصه**	٧ – ٢٥
١٢.	المطلب الأول: تعريف مصطلحات البحث	٧ – ٩
١٣.	المطلب الثاني: أسس بناء المجتمع الإسلامي	١٠ – ١٣
١٤.	المطلب الثالث: خصائص المجتمع الإسلامي	١٤ – ١٧
١٥.	المطلب الرابع: بعض الآيات القرآنية الَّتي تحدثت عن المجتمع	١٨ – ٢٥
١٦.	**المبحث الثاني: الأُسرة في القرآن الكريم**	٢٦ – ٤٢
١٧.	المطلب الأول: تعريف الأُسرة لغة واصطلاحا	٢٦ – ٢٨
١٨.	المطلب الثاني: أَنواع الأُسرة في الإسلام	٢٩ – ٣٠
١٩.	المطلب الثالث: أهمِّيَّة الأُسرة في الإسلام	٣١ – ٣٥
٢٠.	المطلب الرابع : مقومات الأُسرة	٣٦ – ٣٨
٢١.	المطلب الخامس: تكوين الأُسرة في الاسلام	٣٩ – ٤٢

٢٢.	**الفصل الثاني: بناء المجتمعات في الفكر الوضعي**	٤٣ – ٨٠
٢٣.	**المبحث الأول: الفكر الوضعي أُسسه وخصائصه ونظرياته**	٤٣ – ٦٧
٢٤.	المطلب الأول: تعريف الفكر الوضعي	٤٣ – ٤٧
٢٥.	المطلب الثاني: أُسس المجتمع في الفكر الوضعي	٤٨ – ٥٣
٢٦.	المطلب الثالث: خصائص المجتمع في الفكر الوضعي	٥٤ – ٥٧
٢٧.	المطلب الرابع: أَبرز النظريات الَّتي بني عليها الفكر الوضعي	٥٨ – ٦٧
٢٨.	**المبحث الثاني : الأسرة في الفكر الوضعي**	٦٨ – ٨٠
٢٩.	المطلب الأول: مفهوم الأُسرة في الغرب	٦٨ – ٦٩
٣٠.	المطلب الثاني: تفكك الأُسرة في الغرب	٧٠ – ٧٣
٣١.	المطلب الثالث: مصير الأُسرة في المجتمعات الغربية	٧٤ – ٨٠
٣٢.	**الفصل الثالث: الموازنة بين بناء المجتمعات في القرآن الكريم والفكر الوضعي**	٨١ – ١٣٩
٣٣.	**المبحث الأول: المجتمع الغربي في ميزان الشريعة الإسلاميَّة**	٨٣ – ٩١
٣٤.	المطلب الأول: موقف المجتمع الإسلامي من المجتمع الغربي	٨٣ – ٨٨
٣٥.	المطلب الثاني: موقف المجتمع الإسلامي من المعتقدات	٨٩ – ٩١
٣٦.	**المبحث الثاني: الموازنة بين التشريع القرآني فيما يخص الأُسرة والقوانين الوضعية (قانون الأحوال الشخصية العراقي)**	٩٢– ١٣٩
٣٧.	المطلب الأول: نظرة عامة على عموم القانون والأحكام الَّتي يختلف فيها القانون مع القرآن الكريم	٩٢ – ١٠٢
٣٨.	المطلب الثاني: تعدد الزوجات	١٠٣ – ١٠٧
٣٩.	المطلب الثالث: الإكراه في عقد الزواج	١٠٨ – ١١١
٤٠.	المطلب الرابع: مهر الزوجة ونفقتها	١١٢ – ١١٧
٤١.	المطلب الخامس: نفقة عدة الطلاق	١١٨ – ١٢٤
٤٢.	المطلب السادس: الخلع	١٢٥ – ١٢٨

٤٣.	المطلب السابع: إثبات النسب	١٢٩ – ١٣١
٤٤.	المطلب الثامن: الوصية	١٣٢ – ١٣٩
٤٥.	**الخاتمة**	١٤٠ – ١٤٢
٤٦.	**قائمة المصادر والمراجع**	١٤٣ – ١٦١
٤٧.	**الملخص باللغة الإنجليزيَّة**	

الإهداء

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار... إلى من علمني العطاء بدون انتظار... إلى من أحمل أُسمه بكل افتخار... إلى من سكن قلبي وهو تحت الثرى...

إلى الروح الَّتي علمتني معنى الفقد، إذ ليس الوجع في أيام الفقد الأولى، بل حين تأتي الأيام السعيدة، فأجد أن من يستطيع مشاركتي بشكل أعمق قد رحل...إلى من أفتقد حرارة تصفيقه فرحا بإنجازي في هذه المحطة، ولا أفتقد دعواته الَّتي أجني ثمارها كل لحظة، من أثر إلى مسير، ومن سطر إلى محبرة، ومن ثمر إلى شجر، من مفتقد الإيناس إلى ساكن الأنفاس، أُدعو الله أن يرحمك ويتقبلك من الشهداء وستبقى كلماتك نجوماً أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد والدي الغالي رحمك الله يا قطعة من القلب فارقتني.

إلى من أبصرت بها طريق حياتي... واستمديت منها قوتي واعتزازي بذاتي... إلى الكفاح الذي لا يتوقف، إلى الشامخة الَّتي علمتني معنى الإصرار وأن لاشي مستحيل في الحياة مع قوة الإيمان والتخطيط السليم، إلى ينبوع العطاء المتفاني مدى عمري... إلى والدتي الغالية أمد الله في عمرها، وجزاها الله عني خير الجزاء.

إلى من كاتفني وأنا أشق الطريق نحو النجاح في مسيرتي العلميَّة، والذي كان خير عون لي في مسيرتي... رفيق دربي زوجي الغالي.

إلى السند والعضد والساعد... أخواني وأخواتي، أهدي لكم ثمرة جهدي هذا.

الباحثة

الشكر والتقدير

الحمد لله ما دامت الأرض والسموات، فبنعمته تتم الصالحات، وبفضله تنهل الخيرات، إذ لولاه – سبحانه– ما نطق لسان، ولا عقل جنان، ولا أبصرت الحق عينان، فله الحمد والشكر أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا، ممتثلًا أمره ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾[1].

وبعد شكري لله الذي وفق عبده، أقدم الشكر لأصحاب الفضل بعده، وعلى رأس هؤلاء الناس الأستاذ الدكتور **(علي عبد كنو)**، الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة، فأعطاها وصاحبها من نفيس التوجيهات، وقيم التعليمات ما وارى سوءتها، وألبسها حلتها، وحيث صبر على كثرة أسئلتي وردودي، وعالج فتوري وصدودي، فجزاه الله خيرًا، فقد تعلمت من صمته قبل نطقه، ومن رؤيته قبل روايته.

والشكر لكلية العلوم الإسلاميَّة المتمثلة بعميدها الأستاذ الدكتور **(عمر عبدالله نجم الدين الكيلاني)**، وجميع أساتذتها الكرام وموظفيها الفضلاء على ما يقدمونه لطلاب العلم من تيسيرات، ويمنحونه من تسهيلات.

والشكر لكل من أعانني بنصيحة أو مشورة، أو أمدني بمصدر أو مرجع أو دعا لي بخير وتوفيق، فجزى الله الجميع خير الجزاء.

الباحثة

✍ شيماء قاسم علوان

---

[1] سورة العنكبوت، الآية، ١٧.

المُقَدِّمَةُ

المقدمة

الحمد لله الذي أحل الحلال وحرم الحرام، وسكت عن أشياء رحمة بالأنام، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيد الأولين والآخرين رسولنا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه ومن تبعه وسار على نهجه إلى يوم الدين وسلم تسليمًا... أما بعد:

فإنَّ شريعة الله ﷻ تكفل لمن تمسك بها السعادة في الدارين، والأمن في الحياتين، وعلى قدر الأخذ بها تكون هذه السعادة، وعلى قدر البعد عنها، والتنكُّر لها، يكون الشقاء والاضطراب الذي يخيم على حياة البشر، وسيبقى كتاب الله ﷻ معينًا لا ينضب، ورصيدًا لا ينفذ، تستمد منه الأمَّة تعاليم ربها، وأخلاق نبيّها، وأسباب عزّتها، ومعارج رقيّها وسؤددها، وما سعدت الأمَّة – يوم سعدت – ولا تقدَّمت ولا انتصرت، ولا مكَّن لها إلا يوم عرفت كتاب ربّها، وأنزلته من حياتها خير منزل، وما شقيت الأمَّة – يوم شقيت – ولا تقهقرت ولا انكسرت، ولا تمكَّن منها أعداؤها إلا يوم نسيته وأقصته عن حياتها واكتفت منه بآيات تعلق أو ترتل تفتتح بها البرامج واللقاءات، وتبارك بها الندوات والمؤتمرات، ويشيع بها الراحلون من الأموات.

وهذه الدراسة في بناء المجتمعات في القرآن الكريم والفكر الوضعي تكشف عن منهج القرآن العجيب في بناء الفرد والأسرة والمجتمع وتهيب بالأمة للرجوع إلى رصيدها العالي من القيم والأخلاق بين ثنايا دستورها السماوي والوضعي لتربط نفسها بهما، وتقيم حياتها عليهما.

والإسلام الحنيف عني بالمجتمعِ الإسلامي عنايةً كبيرة، وجعل لهُ الأحكام اللازمة للقيامِ بالعلاقاتِ الاجتماعيَّة والأُسريَّة، وراعى كل مجتمع طبائعهُ وعادتهُ وجعلَ لها حيزًا في الشرعِ ، ودرأ كل ما يُوهنها ويُضعفها أو يُفرقها، فالمجتمعُ المسلمُ مجتمعٌ متميز عن غيرهِ من المجتمعاتِ، بمكوّناتهِ وخصائصهِ وأفكاره، فهو مجتمع رباني، إنساني، أخلاقي، متوازن، والمسلمون مُطالبون بإقامةِ هذا المجتمع، حتى يُمكَّنوا فيهِ لدينهم، ويجسدوا فيهِ شخصياتهم، ويحيَوا في ظلَّهِ حياة إسلاميَّة متكاملة، وهو ما يدعونا إلى أن نقوم به من إعادة الروح الاجتماعيَّة للمسلمين، فهو الأمرُ

الأساسيّ الذي ينهض بواقع المجتمع وواقع الأمة الإسلاميَّة في عمليةِ التجديدِ والنهضة والبناء الحضاري، فلا يستقيم لنا وجود ولا تتحقق لنا نهضة ما دامت الفردية غالبة على الجماعيَّة، فكلما ابتعدنا وتفرقنا عن بعضنا نُصبح لُقمةً سائغةً سهلة في فم العدو، والعكسُ صحيح، ولهذا جاءت نصوصُ القرآن تؤكد على هذا المعنى.

والمقصد القرآني لا يقتصر على النظرةِ الجزئيَّةِ فقط، وإنَّما على المقصدِ الكلي على الواقع العام لأحوال الناس، فكل من يرى أن الإسلامَ نظريتهُ جزئية أو خاصة فهو واهم، فالبناء الاجتماعي هو الغرضُ الأسمى للشريعةِ الإسلاميَّة، ولهذا أعداءُ الإسلام يبذلون كلَّ قواهم من أجلِ تفريق وحدة المسلمين وتشتتهم، لأنهم يعرفون أن بتجمعهم ووحدتهم يكسروا شوكتهم، فهذهِ الآلام والفتن تستدعي من المجتمعِات الإسلاميَّة التوحيدِ والتكاتفِ والتعاونِ.

وأنطلق عبر هذا المفهوم لأبين البعض من الآيات القرآنية، لتلمس مفهوم بناء المجتمعات في القرآن الكريم والفكر الوضعي، لتكون الدراسة معاصرة، وفيها إتباع لمنهج البحث العلمي المعاصر، وإبراز التشريع القرآني الذي يميز القرآن الكريم عن الفكر الوضعي، ولن يتحقق هذا إلا بالدراسة الموازنة.

أهمِّيَّة الموضوع

تبرز أهمِّيَّة الموضوع في نقاط عديدة أذكر أهمَّها:

١. تكمن أهمِّيَّة هذا الموضوع في كونه يتعلق ببناء المجتمع في القرآن الكريم.
٢. الموضوع جعل محور دراسته الموازنة بين المجتمع الإسلامي والمجتمع الغربي، وذلك للتعددية الَّتي يحتضنها المجتمع الإسلامي تأريخًا وحضارةً، وهي تعددية دينية، ومذهبية، وقومية، وعشائرية، وهذه التعددية تجعل المادَّة جديرة بالدراسة والتتبع.
٣. تفعيل الرؤية الشرعية في بناء المجتمعات في القرآن بشكل عام، والمجتمعات في الأفكار الوضعية بشكل خاص.

أسباب اختيار الموضوع:

والذي دفعني لاختيار هذا الموضوع الأسباب الآتية:

١. أول هذه الأسباب هو أهمِّيَّته المعاصرة على وجه الخصوص، وأنَّ المجتمعات جميعا أصبحت قريبة جدًا من بعض بعد ثورة الاتصالات والمعلومات ، فأصبحت المنظومة التربوية على المحك في قدرتها في الحفاظ على الهوية الإسلاميَّة في ظل عالم متغير، بل سريع التغيير جدًا.
٢. طبيعة المجتمع الإسلامي وبنائه جديرةٌ بالاهتمامِ والدراسة والنظر.
٣. لم أجد من سبقني من الباحثين بإفراد هذا الموضوع في رسالة جامعية فيما أعلم.
٤. رغبتي في الإسهام في بناء المجتمع وحضارته.

الصعوبات الَّتي واجهتني:

من الصعوبات هي الصعوبة في إيجاد المصادر لكون الموضوع معاصر، إضافة إلى صعوبةِ الظروفِ والاوضاعِ الَّتي يمر بها بلدنا الجريح وما ترتَّب عليها من فقدان الأمن والاستقرار الاجتماعي، لكن بفضل الله تعالى ذُللت الصعاب وفتحت الأبواب والحمد لله رب العالين.

منهجية الدراسة:

١. استخدمت منهجية متعددة، لطبيعة البحث ومضامينه الَّتي اشتغل عليها، فجاءت منهجية البحث على التتبع والتحليل، فهي منهجية وصفية، تتبعت من خلالهاعلى أهم الأسس الَّتي يبنى عليها المجتمع الإسلامي والغربي، ثم قمت بتحليلها والوقوف على أهميتها.
٢. عند إحالتي إلى الكتاب الذي نقلت منه أذكر بطاقة الكتاب كاملا، إذا ذُكر لأول مرة، وبعدها أذكر عنوان الكتاب مع الجزء والصفحة فقط.

٣. عزوتُ الآيات القرآنية إلى سورها، وخَرَّجتُ جميع الأحاديث الواردة في الرسالة مع عزوها إلى مصادرها الَّتي رُويت فيها، مع ذكر موضعه والكتاب والباب الذي ورد فيه، والجزء والصفحة ورقم الحديث.
٤. استخدمت المقالات، لأنَّ المقال غالبًا يخرج من رحم الأزمة وفي أمور معاصرة.
٥. لم أترجم للأعلام المشهورين كالصحابة والأئمَّة، وكذلك لم أترجم لعلماء الغرب، لأنني لم أجد ترجمة لهم.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي، ليس هناك – فيما أعلم– من رسائل جامعية تحمل عنوان هذه الرسالة، ولكن قد توجد رسائل جامعية موضوعها ذو صلة بهذا البحث كما يظهر فيما يأتي :

١. **أطروحة دكتوراه بعنوان: (منهج الإسلام في إصلاح الفرد والمجتمع من خلال سورة الإسراء)**، الباحث: مجدي عبدالغفار حبيب، الجامعة: الأزهر الشريف، القاهرة، الكلية: أصول الدين، التأريخ: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٢. **أطروحة دكتوراه بعنوان: (الآداب الاجتماعيَّة في سورة النور)**، الباحث: أحمد فؤاد المشتولي، الجامعة: الأزهر الشريف، القاهرة، الكلية: أصول الدين قسم التفسير وعلومه، التأريخ: ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
٣. **رسالة ماجستير بعنوان: (منهج الإسلام في بناء المجتمع)**، الباحث: جبر محمد حسن جبر، الجامعة: الأزهر الشريف، القاهرة، الكلية: أصول الدين، التأريخ ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

خطة الدراسة:

اشتملت هذه الدراسة على مقدمة، تطرقت فيها إلى أهمِّيَّة الموضوع، وأسباب اختياره، والصعوبات الَّتي واجهتني في كتابة هذه الرسالة، والمنهجية الَّتي استخدمتها، وثلاثة فصول على النحو الآتي:

أولا: الفصل الأول: بناء المجتمعات في القرآن الكريم، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم المجتمع أُسسه وخصائصه، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف البناء والمجتمع والاجتماع

المطلب الثاني: أُسس بناء المجتمع الإسلامي

المطلب الثالث: خصائص المجتمع الإسلامي

المطلب الرابع: بعض الآيات القرآنية الَّتي تحدثت عن المجتمع

المبحث الثاني: الأُسرة في القرآن الكريم، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الأُسرة لغةً واصطلاحًا

المطلب الثاني: أنواع الأُسرة في الإسلام

المطلب الثالث: أهمِّيَّة الأُسرة في الإسلام

المطلب الرابع: مقومات الأُسرة

المطلب الخامس: تكوين الأُسرة في الاسلام

ثانيا: الفصل الثاني: بناء المجتمعات في الفكر الوضعي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الفكر الوضعي أُسسه وخصائصه ونظرياته، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الفكر الوضعي

المطلب الثاني: أُسس المجتمع في الفكر الوضعي

المطلب الثالث: خصائص المجتمع في الفكر الوضعي

المطلب الرابع: أَبرز النظريات الَّتي بني عليها الفكر الوضعي

المبحث الثاني: الأُسرة في الفكر الغربي، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: مفهوم الأُسرة في الغرب

المطلب الثاني: تفكك الأُسرة في الغرب

المطلب الثالث: مصير الأُسرة في المجتمعات الغربية

ثالثا: الفصل الثالث: الموازنة بين بناء المجتمعات في القرآن الكريم والفكر الوضعي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المجتمع الغربي في ميزان الشريعة الإسلاميَّة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقف المجتمع الإسلامي من المجتمع الغربي

المطلب الثاني: موقف المجتمع الإسلامي من المعتقدات

المبحث الثاني: الموازنة بين التشريع القرآني فيما يخص الأسرة والقوانين الوضعية (قانون الأحوال الشخصية العراقي)، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: نظرة عامة على عموم القانون والأحكام الَّتي يختلف فيها القانون مع القرآن الكريم

المطلب الثاني: تعدد الزوجات

المطلب الثالث: الإكراه في عقد الزواج

المطلب الرابع: مهر الزوجة ونفقتها

المطلب الخامس: نفقة عدة الطلاق

المطلب السادس: الخلع

المطلب السابع: إثبات النسب

المطلب الثامن: الوصية

ومن ثم الخاتمة، وقد أوجزت فيها أهم النتائج الَّتي توصلت إليها من خلال البحث وألحقتها بأهم التوصيات، ومن ثم المصادر والمراجع.

الفصل الأول

بناء المجتمعات في القرآن الكريم

المبحث الأول

مفهوم المجتمع أسسه وخصائصه

المبحث الثاني

الأُسرة في القرآن الكريم

الفصل الأول
بناء المجتمعات في القرآن الكريم
المبحث الأول
مفهوم المجتمع أسسه وخصائصه
المطلب الأول
تعريف مصطلحات البحث

البناء لغةً: "الباء والنون والياء أصل واحد، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض، تقول بنيت البناء أبنيه"[١].

والبناء: "مصدر الفعل بنى يبني بناء ويستعمل مجازًا في معانٍ تدور حول التأسيس والتنمية"[٢]، فالبناء إما أن يكون ماديا ملموسا أو معنويا محسوسا، وهذا هو الذي نقصده في بحثنا.

البناء اصطلاحًا: "وضع شَيْء على شَيْء على صفة يُرَاد بهَا الثُّبُوت"[٣].

المجتمع لغةً: اسم مشتق من الفعل الثلاثي جمع، فالجمع ضد التفريق[٤]، والمجتمع: موضع الاجتماع أو الجماعة من الناس[٥].

---

[١] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٣٠٢/١.

[٢] معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م، ٢٥٠/١.

[٣] الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د، ت، ٢٤١.

[٤] ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣٩٢ .

[٥] ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ) دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢/ ٣٥٧ .

وأصل كلمة المجتمع: من الجمع، والجمع هم طائفة من الناس يجمعها غرض واحد، وجماع الناس اختلاطهم من قبائل شتى، ومن جماع كل شيء مجتمع أصله، ومن تجمع انضم بعضه إلى بعض[١].

المجتمع اصطلاحًا: "مجموعة من الأفراد يعيشون في منطقة متصلة الأجزاء، أو يشتركون في تقاليد ونظم معينة، وتكون لهم أهداف ومصالح مشتركة، تجعلهم يقومون بألوان مختلفة من التفكير والسلوك، الذي يغلب عليه الطابع التعاوني"[٢].

والمجتمع: "عبارة عن نسيج مكون من صلات اجتماعيَّة، تلك الصلات الَّتي يحددها الإدراك المتبادل"[٣].

والمجتمع بشكل عام يحدد العلاقات الَّتي تنشأ بين أعضائه، وهو كيان اجتماعي، وأصل الكلمة من الاجتماع والجماعة والمجموع بالصلة، ومعنى ذلك أن المجتمع يتطلب وجود جماعة من البشر، يعيشون ضمنه، وأنهم يحيون حياة جماعية، فتصبح هناك صلات مستمرة تجمع بعضهم مع بعض[٤].

والاجتماع، أو علم الاجتماع: "علم يبْحَث فِي نشوء الْجَمَاعَات الإنسانيَّة ونموها وطبيعتها وقوانينها ونظمها وَيُقَال رجل اجتماعي مزاول للحياة الاجتماعيَّة كثير المخالطة للنَّاس"[٥].

---

[١] ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة، د.ط، د، ت، ١٣٥.

[٢] المجتمع الإسلامي دعائمه وآدابه في ضوء القرآن الكريم، الدكتور محمد نجيب أحمد أبو عجوة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ١٦.

[٣] المجتمع الإسلامي، الدكتور محمد أمين المصري، دار الأرقم، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١٢.

[٤] ينظر: المجتمع العربي وتطوراته الاجتماعيَّة والسياسية، أحمد سويلم العمري، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٦٤م، ٢٢.

[٥] المعجم الوسيط، ١/ ١٣٥.

من خلال ما تقدم من تعريفات للمجتمع، والتي ركز كل تعريف منها على جانب من الجوانب، يمكن الجمع بينها للوصول إلى تعريف أكثر شمولية، وهو أن المجتمع عبارة عن جماعة من الناس يعيشون سويا، تربطهم مجموعة مشتركة من القيم والأهداف والصلات الاجتماعيَّة والمصالح المشتركة.

ويتضح مما سبق أَنَّ المُجتمع الإسلامي: هو المجتمع الذي يتميز بِنُظمه الخاصّة وقوانينه القُرآنية، ويرتبط أَفراده برابطة الأخوة اعتقاداً وشريعة وأخلاقاً، وإنْ كانوا من أَقوامٍ مُتعددة وأَلسنة متباينة.

المطلب الثاني

أُسس بناء المجتمع الإسلامي

لكل مجتمع أُسس يبنى عليها، وهذه الأُسس مشتركة بين المجتمعات كلها، والمجتمع الإسلامي مثل غيره من المجتمعات لديه أُسس عامة يقوم عليها، وهذه الأُسس هي:

١. الإنسان:

لقد اعتنى الإسلام ببناءِ الإنسانِ عنايةً كبيرةً؛ لأَنَّ الإنسانَ يتمثَّلُ في الفردِ، والأُسرةِ، والمُجتمعِ، فإنّ الفرد يؤثِّر في المُجتمعِ، والمجتمع يؤثِّر في الفرد بصفةٍ أقوى، وكُلَّما وقع الاهتمام بتربيته كلَّما أدَّى وظيفته الحياتية بصفةٍ أفضل كون الفرد هو الأساس في بناءِ المُجتمع الإسلامي[١]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[٢]، وأَنَّ الإنسانَ مُكلَّفٌ ببناءِ المُجتمعِ؛ ولذلكَ اختارهُ اللهُ ﷻ من بين مخلوقاته من أَجلِ استخلافِ الأرضِ، وأمرهُ بإقامةِ الحياة عليها، وللقيام بدوره الأساسيّ لبناءِ الفرد والمجتمع[٣].

"إنَّ المتأمل في مكانة الفرد في الإسلام وما أحيط به من عناية وتهيئة يدرك أنَّهُ أهل لأن يكون الأساس الأول في بناء المجتمع باعتباره اللبنة الأولى في الأسرة، تلك الأسرة الَّتي تؤلف مع مثيلاتها المجتمع الرباني"[٤].

---

[١] ينظر: المجتمع والأسرة في الإسلام، محمد طاهر الجوابي، دار عالم الكتب للطباعة، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ١٥.

[٢] سورة البقرة، الآية،٣٠.

[٣] ينظر: الاسلام والتنمية الاجتماعيَّة، محسن عبد الحميد، دار المنارة، جدة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ٢٧.

[٤] الإسلام وبناء المجتمع الإسلامي، أبو غدة حسن عبد الغني، وآخرون، الرياض، مكتبة الرشد، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ٢٠.

٢. الروابط الاجتماعيَّة:

"فُطِرَ الإنسان على حب الانتماء إلى المجتمع، فهو يميل بطبيعته إلى بني جنسه ويكره العزلة، ذلك أن الاجتماع ما هو إلا تعبير عن غريزة مستكنة في أعماق نفس الإنسان والجماعة صفة لازمة من صفاته"[١]، وأَنَّ الإنسانَ لا يمكنه النهوض بجميعِ مُتطلَّبات الحياةِ إلَّا مع بني جنسِه؛ ولذلكَ فإنَّ الإسلامَ يؤكِّدُ على بناءِ علاقاتٍ اجتماعيَّة مُترابطةٍ، والرَّسولَ ﷺ يُدرِكُ إدراكًا عميقًا مدى تأثير العلاقاتِ المُتبادلة على قوةِ المُجتمعِ أَو ضعفهِ، وترابطه أو تفككه؛ ولذلك حرص على وضع أُسسًا لعلاقات اجتماعيَّة مترابطة بين أفراد المجتمع الإسلامي[٢]، "أن هذه الروابط قد تكون علاقات اجتماعيَّة، مثل الصداقة والمصاهرة، وقد تكون علاقات اجتماعيَّة أشد تعقيدًا، مثل الجوار والصراع، ومنهم من يقسم هذه الروابط إلى فطرية، كالقرابة، وإلى مكتسبة كالجوار"[٣]، وعلى هذا فهي روابط اجتماعيَّة نمت في ظل الاجتماع بسبب شعور كل فرد بحاجته إلى التعاون مع الآخرين والارتباط بهم تحقيقا للمصالح المشتركة[٤].

٣. الضبط الاجتماعي:

ضبط السلوك والتفاعلات الاجتماعيَّة، بين أفراد المجتمع، بما يحفظ لهم استقرار المجتمع، وتماسكه، فإنَّ الضَّبطَ الاجتماعيَّ يضبطُ سلوك الفرد وتصرفاته

---

[١] المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري، الكويت، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ١١.

[٢] ينظر: النبي المربي، أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ٢١٤.

[٣] علم الاجتماع والمجتمع الإسلامي، مصطفى شاهين، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١، ١١.

[٤] ينظر: المجتمع والأسرة في الإسلام، محمد طاهر الجوابي الرياض، دار عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ، ١٤.

في المُجتمعِ الذي ينتمي إليه، والذي يُعدُّ عضوًا فيهِ، وإن قوانين المجتمع تعدُّ أمراً ويجب على كلِّ فردٍ الالتزامِ بها[١]، فإنَّ المُجتمعَ يؤثِّرُ في الفردِ، والفرد بدوره يؤثِّرُ في المُجتمعِ؛ ولذلكَ يجبُ الاهتمام بالفردِ وضبط سلوكه؛ لأَنَّ الفردَ هو الذي يقوم ببناء المجتمع[٢]، ويجب على كلِّ مجتمعٍ وضعُ الأنظمة والقوانين والمعايير لضبط سلوك الأفراد والجماعات، حتَّى لا تصبح الحياة عرضة للفوضى، والانحرافات[٣]، "إنَّ حاجة المجتمع ماسة لوجود ضوابط وأنظمة تطلق نشاط الأفراد في مجالات، وتحبس نشاطهم في مجالات أخرى، وتضع لهم مقاييس للسلوكيات والأحاسيس تقوم الأمور تبعًا لها، فتعتبر بعض الأمور كريمة محببة وتعتبر بعضها كريها مذموما"[٤].

٤. الأرض:

تعد الأرض العنصر الأساس بعد الإنسان في تكوين المجتمعات، وأَنَّ هذهِ الأرض مهيأةٌ بكلِّ ما فيها لمصلحةِ الإنسان، وخدمته وتوفير حاجاته من سكن وطعام وشراب، فالأرض وقد هُيأَتْ لتكونَ مُستقرًا، ومتاعًا للإنسان[٥]، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾[٦]، فيجب على الإنسان إعمار الأرض وحمايتها؛ لأنّهُ الكائن المستخلف في هذه الأرض، بتوفير السكن، والمؤسسات العامة، وتعبيد الطرقات، واستثمارها باستخراج المعادن،

---

[١] ينظر: مبادئ علم الاجتماع، أحمد رأفت عبد الجواد، مكتبة نهضة الشروق، القاهرة، د.ط، د، ت، ١٠٥.

[٢] ينظر: المجتمع الإسلامي منطلقاته وأهدافه، محمد تقي المدرسي، مكتبة الألفين، د.ط، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ٢٠.

[٣] ينطر: مبادئ علم الاجتماع، ١٠٦.

[٤] المجتمع الاسلامي، ١٣.

[٥] ينظر: رعاية البيئة في شريعة الاسلام، يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ١٢ – ١٣.

[٦] سورة الحجر، الآية، ١٩.

والانتفاع ببحرها والصيد، وبفضائها بالطيران، وبطقسها بمعرفة تأثيره على السكان، والزراعة، والنقل، والصناعة والملاحة، وغيرها، فكل ما في الأرض من موارد طبيعيَّة وخيرات كله للإنسان من أجل الانتفاع بها، باعتبار الأرض هي الأساس الذي يقوم عليها بناء الإنسان، وتكوين المجتمعات[1].

والذي يتبين لي من خلال ما تقدم: أَنَّ كل مجتمع من المجتمعات له أُسس يقوم عليها، وإن بناء المجتمع الإسلامي له أُسس تميز عن غيره من المجتمعات الاخرى، فالقرآن الكريم هو الاساس الأول في بناء المجتمع الإسلامي، ولا يمكن بناء مجتمع من غير أساس، وأَنَّ الإنسان هو المستخلف في هذه الأرض، ويجب عليه إعمار الأرض وإقامة الحياة فيها.

[1] ينظر: المجتمع والأسرة في الإسلام، ١٩،

المطلب الثالث

خصائص المجتمع الإسلامي

إنَّ المُجتمعَ الإسلاميَّ لهُ خصائصٌ تُميزهُ عن غيرِه من المجتمعات الأُخرى، حيثُ أنَّهُ يستمد مصادره من القُرآنِ الكريمِ والسنة النبوية، وفق المنهجِ الرباني، وإنَّ الخاصيَّةَ الرَّئيسةَ الَّتي تتفرد بها خصائصُ المُجتمعِ الإسلاميِّ عن سائر النُّظمِ الاجتماعيَّة الَّتي عرَفَتها البشريَّة قبلَ الإسلامِ وبعده، أنَّهُ نظام ربانيّ، ومن هذهِ الخاصية تنبعُ كل الخصائصِ الَّتي تُحدِّدُ طبيعة هذا النِّظام[١]، ولذلكَ سوفَ أَتناول بعض خصائص المُجتمع الإسلامي في الأمور الأتية:

١. ترسيخ العقيدة الإسلاميَّة:

إنَّ المجتمع الإسلامي يتميز بأنه مجتمع العقيدة، يقوم عليها بناؤه ومنها تنبثق روابطه وقيمه وسلوكه، وبقدر ما تكون قوة العقيدة في المجتمع يكون المجتمع قويا ومتماسكًا، وبقدر ما تضعف العقيدة يكون ضعف المجتمع، وهكذا تكون العقيدة الإسلاميَّة هي الأساس الَّتي تحفظ المجتمع الإسلامي من أن يهتز، وهي الَّتي تجعل منه بنية قوية دعائمها، راسخة وأركانها ثابتة، وبذلك تكون العقيدة هي القوة الدافعة الَّتي تحفظ توجه الإنسان إلى الله وحده لا شريك له، والطاقة الإيمانية المتجددة لدى الأفراد، والجماعات، وهي حبل الله المتين الذي يحفظ وحدة المجتمع وتماسكه[٢].

٢. الالتزام بالشريعة الإسلاميَّة:

إنَّ الله ﷻ قد أنزل الشريعة الإسلاميَّة الَّتي يحتكم إليها المسلمون في جميع شؤونهم الخاصة والعامة، ولم تترك الشريعة أمرًا من الأمور إلاَّ أحاطت به سواء ما

---

[١] ينظر: نحو مجتمع إسلامي، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة العاشرة، ١٩٩٣م، ١٣٦.

[٢] ينظر: الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلاميَّة، محمود أحمد شوق، دار الفكر العربي، د.ط،١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ٢٧٤.

يخص علاقة الفرد بذاته، أو علاقة الفرد بأسرته أو علاقة الفرد بغيره من الأفراد، أو علاقة الفرد بمجتمعه بما فيه من مؤسسات، أو علاقته بالمجتمعات الأخرى، وقد وضعت حدودًا لكل فعل، وأوضحت الأخلاق الَّتي ينبغي أن يتحلى بها المسلم والمجتمع الإسلامي، وإن أهم ما ينبغي إدراكه بالنسبة لتحكيم الشريعة ما أحله الله وما حرمه، ويجد في نفسه رقابة ذاتية تمنعه في سره وعلنه من ارتكاب الخطأ، حبًا في الله وتسليمًا لأوامره ونواهيه، وهذا الانسجام بين سرّ الفرد وعلنه، وهذا الشعور برقابة الله ﷻ، والحب فيه والبغض فيه والحرص على إتباع أوامره وتجنب نواهيه، ويجعل المسلم رقيبا على نفسه مقوما لها، والشريعة الإسلاميَّة هي ما شرعه الله لعباده من العقائد، والعبادات، والأخلاق ونظام حياة في شعبها المختلفة لتحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[2].

والذي يتبين لي من خلال ما تقدم: أنَّهُ يجب على المجتمع الإسلامي الالتزام بالشريعة الإسلاميَّة وإتباع أوامر الله واجتناب نواهيه حتى يكون المجتمع قويا متماسكا ينعم بالاستقرار والطمأنينة والحفاظ على كيان المجتمع الإسلامي.

٣. الشموليَّة:

"إنَّ نظام الإسلام شامل لجميع شؤون الحياة وسلوك الإنسان، إنَّ هذا الوصف للإسلام وصف حقيقي لشؤون الحياة وسلوك الإنسان لا يقبل الاستثناء ولا التخصيص، فهو شمول تامّ بكل معاني كلمة الشمول، وهذا بخلاف المبادئ والنظم البشرية، فإن الواحد منها له دائرته الخاصة الَّتي ينظم شؤونها، ولا شأن له فيما عدا ذلك، وعلى هذا فلا يمكن للمسلم أن يقول: إنَّ هذا المجال لي، أنظِّم أموري كما

---

[1] ينظر: الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلاميَّة، ٢٧٦، ٢٧٧.

[2] سورة النساء، الآية، ٦٥.

أشاء بمعزل عن تنظيم الإسلام، لا يمكن أن يقول المسلم هذا؛ لأن الإسلام يحكمه من يافوخه إلى أخمص قدميه"[١].

"إنَّ شمولية الإسلام هي الَّتي تحقق التكامل بين الجانبين الاقتصادي والروحي، فإن مبدأ الشموليَّة يعني أن القرآن والسنة يقران الوحدة في الحياة والتفاعل بين الأبعاد السياسية والاقتصادية والروحية والأخلاقية للحياة البشرية"[٢].

٤. التكافل الاجتماعيُّ بينَ أَبناءِ المجتمع الإسلامي:

إنَّ المجتمع الإسلامي مجتمع تسوده المودة، والإخاء والمحبة والتعاون والأخلاق الحميدة، وتربطه عقيدة التوحيد ويؤلف بين أفراده تقوى الله ﷻ، مجتمع متضامن متكافل متعاون على البر والتقوى[٣].

إن نظام التكافل في الإسلام يكاد يحتوي التشريع الإسلامي كله؛ لأن غاية التكافل هو إصلاح أحوال الناس، وأن يعيشوا في الحياة آمنين مطمئنين على عقائدهم، وأنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم، وإن يحقق لهم ضمانات الاستقرار والسلام وأسباب العيش الهانئ الأفضل[٤].

وإنَّ مميزات الحياة الاجتماعيَّة بين المسلمين، التعاون على البر والخير، للنهوض بالأمة الإسلاميَّة، إلى المستوى الرفيع والتقدم نحو الأفضل[٥].

---

[١] أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ٥٢.

[٢] العدالة الاجتماعيَّة والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، عبد الحميد براهيمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى. ١٩٩٧م، ٢٥.

[٣] ينظر: الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلاميَّة، ٢٩٧.

[٤] ينظر التكافل الاجتماعي في الإسلام، أحمد عبده عوض، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ-٢٠١٠م، ٢٥.

[٥] ينظر: الجمعيات الخيرية الإسلاميَّة ودورها في التكافل الاجتماعي، محيي الدين خير الله العوير، دار النهضة، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ٢٠٩.

والَّذي يتبين لي من خلال ما تقدم: أنَّ المجتمع الإسلاميّ لهُ خصائص، تميِّزهُ عن غيره من المُجتمعات الأُخرى بنظامٍ خاصّ، وأَنَّ المُجتمعَ الذي ينشأ على كتابِ اللهِ تعالى وسُنَّةِ رسولِهِ ﷺ في ظلّ النظامِ الَّذي تنبثق منهُ العقيدة السليمةُ.

والمجتمع الملتزم بإحكام الشريعة الإسلاميَّة تجدهُ مجتمعًا متماسكًا متراحمًا مترابطًا، متكافلًا متناسقًا، وهذا المجتمع الذي حققه الإسلام في أجمل وأرقى صورهُ.

المطلب الرابع

بعض الآيات القرآنية الَّتي تحدثت عن المجتمع

اخترت بعض الآيات من القرآن الكريم لغرض تناولها في هذا المطلب وكان الاختيار قصديا يتناسب مع فرضية الرسالة، إذ إن دراستنا ليست إحصائية تتبعيَّة، وإنَّما هي دراسة تلتمس المعاني والمفاهيم من القرآن الكريم، والذي يتناسب مع هذا الهدف هو الاختيار القصدي للآيات وليس الاختيار العشوائي، فكما هو معلوم بأن اختيار عينة البحث في منهج البحث العلمي المعاصر إما أنْ يكون قصديا أو عشوائيا على حسب فرضية البحث وأهدافه، فمن هذه الآيات:

أولًا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾، أي: "من آدم وحواء، أو من ماء ذكر من الرجال، وماء أنثى من النساء، أي: من أب وأم، فما منكم أحد إلا وهو يدلي بمثل ما يدلي به الآخر، سواء بسواء، فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب"[2].

﴿ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾، أي: "وجعلناكم متناسبين، فبعضكم يناسب بعضا نسبا بعيدا، وبعضكم يناسب بعضا نسبا قريبا، ليعرف بعضكم بعضا في قرب القرابة منه وبعده، لا لفضيلة لكم في ذلك، وقربة تقربكم إلى الله"[3].

"والشعب: الطبقة الأولى من الطبقات الست الَّتي عليها العرب، وهي: الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة، فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة

---

[1] سورة الحجرات، الآية، ١٣.

[2] محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي ت (١٣٣٢هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ٨/ ٥٣٨.

[3] المصدر نفسه، ٨/ ٥٣٨.

تجمع، العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ مجمع الفصائل: خزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة، وسميت الشعوب، لأنّ القبائل تشعبت منها"[١]، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، أي: "أشدكم اتقاء له وخشية بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتا، ولا أكثركم عشيرة"[٢].

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾، "أي بظواهركم وبواطنكم، وبالأتقى والأكرم، وغير ذلك، لا تخفى عليه خافية"[٣]، "فالتقوى هي التحرّر من النفس وأطماعها وحظوظها، فأكرم العباد عند الله من كان أبعد عن نفسه وأقرب إلى الله تعالى"[٤].

ثانيًا: قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [٥].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، "الخطاب في الآية الأُولى من هذه السّورة موجه إلى كافة أفراد البشر، لأنّ محتويات هذه السورة هي في الحقيقة نفس الأُمور الَّتي يحتاج إليها كل أفراد البشر في حياتهم"[٦]، وقيل: يا أيها الناس خطاب لأهل مكة، والصحيح أنَّهُ عام لجميع المكلفين، لأنَّ ظاهر اللفظ يشمل الكل، ولا دليل على التخصيص، لكن

---

[١] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ت (٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ،الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ، ٤/ ٣٧٤ – ٣٧٥.

[٢] محاسن التأويل، ٨/ ٥٣٨.

[٣] المصدر نفسه، ٨/ ٥٣٨.

[٤] لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت٤٦٥هـ)، إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة، ٣/ ٤٤٤.

[٥] سورة النساء، الآية، ١.

[٦] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، د، ت، د.ط، ٣/٧٩.

الأمر بالتقوى يؤكد الشمول والعموم، لأن وجوب اتقاء المعاصي لا يختص بفئة دون فئة[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ﴾، أي: يريد دعوتهم إلى تقوى ربهم في أمر أنفسهم وهم ناس متحدون في الحقيقة الإنسانيَّة من غير اختلاف فيها بين الرجل والمرأة والصغير والكبير والعاجز والقوي حتى لا يجحف الرجل بالمرأة ولا يظلم كبيرهم الصغير في مجتمعهم الذي هداهم الله إليه لتتميم سعادتهم والأحكام والقوانين المعمولة بينهم الَّتي ألهمهم إياها لتسهيل طريق حياتهم، وحفظ وجودهم وبقائهم فرادى ومجتمعين[2].

ثمّ إنّ الآية تدعو إلى التقوى باعتبارها أساسًا لأيّ برنامج إصلاحي في مجتمع، فإداء الحقوق والتقسيم العادل للثروة، وحماية الأيتام، ورعاية الحقوق العائلية، وما شابه ذلك كلها من الأُمور الَّتي لا تتحقق إلا بالتقوى، ولهذا تفتتح هذه السورة الَّتي تحتوي على جميع هذه الأُمور- بالدعوة إلى التزام التقوى وللتعريف بالله الذي يراقب كلّ أعمال الإنسان وتصرفاته أُشير في الآية إلى واحدة من صفاته الَّتي تعتبر أساسًا للوحدة الاجتماعيَّة في عالم البشر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [3].

"وعلى هذا الأساس لا مبرر للتمييز العنصري، واللغوي، والمحلي، والعشائري وما شابه ذلك ممّا يسبب في عالمنا الرّاهن آلافًا من المشاكل في المجتمعات، ولا مجال لهذه الأُمور وما يترتب عليها من الأمجاد الكاذبة والتفوق الموهوم في المجتمع

---

[1] ينظر: التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ٢/ ٢٤٢.

[2] ينظر: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، شبكة الفكر، د، ت، د.ط، ٤/ ١٣٤ – ١٣٥.

[3] ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣/٧٩ – ٨٠.

الإسلامي، لأنّ كافة البشر على اختلاف ألوانهم، ولغاتهم، وأقطارهم يرجعون إلى أب واحد وأُمّ واحدة"[١].

"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي أنشأكم من العدم، ورباكم وشملكم بالجود والكرم، واذكروا أنَّهُ خلقكم من نفس واحدة وجعلكم جنسا تقوم مصالحه على التعاون والتآزر، وحفظ بعضكم حقوق بعض، واتقوا الله الذي تعظمونه وتتساءلون فيما بينكم باسمه الكريم، وبحقه على عباده وبما له من السلطان والجبروت، وتذكّروا حقوق الرحم عليكم فلا تفرّطوا فيها، فإنكم إن فعلتم ذلك أفسدتم الأسر والعشائر، فعليكم أن تحافظوا على هاتين الرابطتين رابطة الإيمان ورابطة الرحم الوشيجة"[٢].

ثمّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾، قد فهم منها بعض المفسرين أن حواء قد خلقت من جسم آدم، وإن المراد بزوجها حواء واستشهدوا لذلك بروايات وأحاديث غير معتبرة تقول: إنّ حواء خلقت من أضلاع آدم، وقيل: بل خلقها من فضل طينته كما في بعض الروايات[٣].

قال سبحانه: ﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾، "إن وصف الرجال بالكثير، دون النساء للتنبيه على أن اللائق بحال الرجال الاشتهار والبروز، واللائق بحال النساء الخفاء والخمول"[٤]، "وهذه العبارة يستفاد منها أنّ انتشار نسل آدم، وتكاثره قد تمّ عن طريق آدم وحواء فقط، أي بدون أن يكون الموجود ثالث أي دخالة في ذلك. وبعبارة أُخرى أنّ النسل البشري الموجود إنّما ينتهي إلى آدم وزوجته من غير أن يشاركهما في ذلك غيرهما من ذكر أو أُنثى، وهذا يستلزم أن يكون أبناء آدم (أخوة وأخوات) قد

---

[١] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣/٨٠.

[٢] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي ت (١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م، ٤/١٧٤ – ١٧٥.

[٣] ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣/٨٠. والتفسير الكاشف، ٢/ ٢٤٤.

[٤] التفسير الكاشف، ٢/ ٢٤٤.

تزاوجوا فيما بينهم، لأنه إذا تمّ تكثير النسل البشري عن طريق تزوجهم بغيرهم لم يصدق ولم يصح قوله: (منهما)"[1].

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ ﴾، "هذا إشارة ما يقوله بعضنا إلى بعض: سألتك باللَّه أن تفعل كذا، أو سألتك بالرحم أن تفعل كذا، أي سألتك بحق اللَّه العظيم عليك، وحق الرحم العزيز عليك، والغرض من الأمر بتقوى اللَّه والرحم أن نؤدي ما لهما علينا من حق، فالآية أشبه **بقوله تعالى:** ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾[2]، "إن اللَّه سبحانه أمرنا في هذه الآية أن نتقي غضبه وعذابه، وأن نحسن إلى الأرحام، وأن لا يعلو بعضنا على بعض، ولا يظلم أحد أحدا، لأن الجميع من أصل واحد، وختم ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾،وهو تهديد ووعيد لمن عصى وتمرد"[3]، "أي أنَّهُ يحصي عليكم نياتكم وأعمالكم، ويعلم بها ويراها جميعًا، كما أنَّهُ هو الذي يحفظكم أمام الحوادث"[4].

والذي يتبيَّنُ لي من خلال تفسير الآية الكريمة: أنَّ الإنسان قد خلق فردًا لينتشر في الأرض ويكون المجتمعات.

ثالثًا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[5].

"يقول تعالى ذكره: ومن حججه وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن إليها، وذلك أنَّهُ خلق حوّاء من ضلع من أضلاع آدم"[6].

---

[1] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣/٨١.

[2] سورة لقمان، الآية، ١٤.

[3] تفسير الكاشف، ٢/٢٤٤ ٢٤٥.

[4] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣/٨٤.

[5] سورة الروم، الآية، ٢١.

[6] جامع البيان في تأويل القرآن،٢٠/٨٦.

"وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾[1]، أَيْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ جِنْسِكُمْ إِنَاثًا يَكُنَّ لَكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْها: كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[2]، يَعْنِي بِذَلِكَ حَوَّاءَ، خَلَقَهَا اللَّهُ مِنْ آدَمَ مِنْ ضلعه الأقصر الأيسر، ولو أَنَّهُ تعالى جَعَلَ بَنِي آدَمَ كُلَّهُمْ ذُكُورًا وَجَعَلَ إِنَاثَهُمْ من جنس آخر إِمَّا مِنْ جَانٍّ أَوْ حَيَوَانٍ، لَمَا حَصَلَ هَذَا الِائْتِلَافُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَزْوَاجِ، بَلْ كَانَتْ تَحْصُلُ نَفْرَةٌ لَوْ كَانَتِ الْأَزْوَاجُ مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ، ثُمَّ مِنْ تَمَامِ رَحْمَتِهِ بِبَنِي آدَمَ أَنْ جَعَلَ أَزْوَاجَهُمْ مِنْ جِنْسِهِمْ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُنَّ مَوَدَّةً وَهِيَ الْمَحَبَّةُ، وَرَحْمَةً وَهِيَ الرَّأْفَةُ، فإن الرجل يمسك المرأة إنما لِمَحَبَّتِهِ لَهَا أَوْ لِرَحْمَةٍ بِهَا بِأَنْ يَكُونَ لَهَا مِنْهُ وَلَدٌ، أَوْ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهِ فِي الْإِنْفَاقِ أَوْ لِلْأُلْفَةِ بَيْنَهُمَا"[3].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[4]، "يعني: الحب بين الزوج والمرأة، ولم يكن بينهما قرابة، ويحب كل واحد منهما صاحبه، ويقال: وجعل منكم مودة للصغير على الكبير، ورحمة للكبير على الصغير، ويقال: وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً يعني: الولدان"[5].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[6]، أي: "يتفكرون في هذه المسائل وفي هذه المراحل الَّتي تمرُّ بالحياة الزوجية، وكيف أن الله تعالى جعل لنا الأزواج من أنفسنا، وليستْ من جنس آخر، وكيف بنى هذه العلاقة على السَّكَن والحب والمودة، ثم في مرحلة الكِبَر على الرحمة الَّتي يجب أنْ يتعايش بها الزوجان

---

[1] سورة الروم، الآية، ٢١.

[2] سورة الاعراف، الآية، ١٨٩.

[3] تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، ٢٧٨/٦.

[4] سورة الروم، الآية، ٢١.

[5] بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ت (٣٧٣هـ)، د.ط، د.ت، ٨/٣، ٩.

[6] سورة الروم، الآية، ٢١.

طيلة حياتهما معًا"[1] **رابعًا: قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾[2].

"وصف الله سبحانه حال المؤمنين عامة محاذاة لما وصف به المنافقين فقال: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ ليدل بذلك على أنهم مع كثرتهم وتفرقهم من حيث العدد ومن الذكورة والأنوثة ذوو كينونة واحدة متفقة لا تشعب فيها ولذلك يتولى بعضهم أمر بعض ويدبره"[3].

﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾، يعني: بالإيمان وإتباع محمد ﷺ يعني: عن الشرك، وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾، يعني: يقرون بها ويتمّونها، ﴿ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾، يعني: ويقرون بها ويؤدونها، ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾، يعني: يطيعون الله في فرائضه، ويطيعون الرسول في السنن وفيما بَيَّنَ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾، يعني: ينجيهم الله من العذاب الأليم، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذو النقمة حَكِيمٌ في أمره حكم للمؤمنين بالجنة وللكافرين بالنار، وقال بعضهم: سيرحمهم الله في خمسة مواضع: عند الموت وسكراته، وفي القبر وظلماته، وعند الكتاب وحسراته، وعند الميزان وندامته، وعند الوقوف بين يدي الله وسؤالاته[4].

---

[1] تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي ت (١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، د.ط، ١٩٩٧م، ١٨/ ١١٣٦٢.

[2] سورة التوبة، الآية، ٧١.

[3] الميزان في تفسير القرآن، ٣٣٨/٩.

[4] ينظر: بحر العلوم، ، ٧٣/٢.

خامسًا: قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[1].

يقول تعالى ذكره لأهل الإيمان به ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ في الدين ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ ﴾ إذا اقتتلا بأن تحملوهما على حكم الله وحكم رسوله. ومعنى الأخوين في هذا الموضع: كل مقتتلين من أهل الإيمان، ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾، يقول تعالى ذكره: وخافوا الله أيها الناس بأداء فرائضه عليكم في الإصلاح بين المقتتلين من أهل الإيمان بالعدل، وفي غير ذلك من فرائضه، واجتناب معاصيه، ليرحمكم ربكم، فيصفح لكم عن سالف إجرامكم إذا أنتم أطعتموه، واتبعتم أمره ونهيه، واتقيتموه بطاعته[2].

---

[1] سورة الحجرات، الآية، ١٠.

[2] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٢/ ٢٩٧.